التصميم الحضاري المعاصر والبيئة المعمارية
The contemporary civilizational design and the architectural environment

د./ فيبي سعيد فهمي اندراوس

كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان

١- العوامل المؤثرة علي الهوية الثقافية للعمارة والبيئة الخارجية

(١-١) العوامل الإنسانية : تؤثر العوامل الإنسانية علي الهوية الثقافية تأثيراً مباشراً أقوي في أفعاله من العوامل الطبيعية ، فلا شك أن سرعة تأثير العوامل الإنسانية علي الثقافة أعلي من سرعة تأثير العوامل الطبيعية عليها ، وهذا وإن كانت العوامل الإنسانية قد نشأت من العوامل الطبيعية في البداية فإن أول ما يتأثر به الإنسان ويغير من ثقافته عند انتقاله لبيئة ما هو المحيط الإنساني ويتمثل في عناصر التنسيق المحيطة به ، ثم يليه في التأثير المحيط البيئي الطبيعي ، والعوامل الإنسانية المؤثرة علي الهوية الثقافية هي تلك العوامل والمفاهيم التي نتجت من خلال الإنسان وتفاعلاته مع مفردات الطابع الخاص بالعمارة ، ولها تأثير علي الثقافة سواء من خلال الموروث أو المعاصر من تلك المفاهيم والعوامل ، وهي لا تأخذ شكلاً ثابتاً ولكن تتحول من صورة إلي أخري تبعاً للتحولات الثقافية والفكرية المعبرة عن مجتمع ما فالتحول والتغير الثقافي يؤدي إلي تحول وتغير في مجموعة العوامل المؤثرة علي صياغة القيم

الثقافية المعبرة عن البيئة المحيطة بالعمارة فالثقافة والعوامل المؤثرة علي صياغة قيمها, كلاهما له تأثير علي الأخر.

(١-٢) العوامل الدينية :"فالدين هو ما تعتبره المجتمعات شيئاً مقدساً ، ويشمل علي نظام مؤسسي من الرموز ، والمعتقدات ، والقيم ، والممارسات التي تتعامل مع المعاني المطلقة ، والأسئلة الجوهرية والأساسية لدي المجتمع. حيث شكل الدين في مصر جانباً كبيراً من الثقافة المصرية "[1] وتناولت البيئة المعمارية الدين كمادة خصبة للإتيان بالمبادئ التي تقوم عليها عمليات التعبير عن الهوية الحضارية ومن ثم تكون القيمة الفنية الجمالية من صدق التعبير عن الدين في تصميم البيئة المعمارية.

(١-٣) العوامل الاجتماعية : تتأثر الثقافة أثناء تناقلها بين أفراد المجتمع بالمجتمع ذاته ، فطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد تشكل وتبلور أجزاء وأنساق من الثقافة ، فمفهوم الثقافة علي المستوي الفردي ثقافة الفرد ، النطاق الفردي للثقافة ، ومفهوم علي مستوي الجماعة " ثقافة الجماعة ، النطاق الجماعي للثقافة" ، والعلاقات الاجتماعية بين الفرد والفرد الآخر والجماعة تمثل في مجملها عملية تبادل وتفاعل ثقافي دائم ، وينتج عنها تعديل وتطوير دائم في ثقافة الأفراد ومن ثم الجماعات . وتتباين طبيعة وشكل

---

(١) مثال : اتخذت عمارة العصور الإسلامية في مصر من الثقافة والدين بالتحديد منبعاً للقيم والمبادئ التي ترجمها المعماري المسلم في هيئة تشكيلات معمارية ، انظر :
- د./ ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار الشروق, بيروت , لبنان, الطبعة الأولي, ١٩٩٤م .

العلاقات الاجتماعية حيث تمثل أجزاء النسق الاجتماعي العام ، ولا شك أن كل مكونات هذا النسق تتباين من مجتمع لأخر فيؤثر هذا التباين علي طبيعة التناقل الثقافي بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع ، وكون العلاقات الاجتماعية تشكلت من ثقافة المجتمع ثم هي تعود بعد ذلك وتؤثر عليها فهناك نوع من التأثير المتبادل الدائم بين العلاقات الاجتماعية وثقافة المجتمع . وبالتالي إن العلاقات الاجتماعية التي تغير من المؤثرات المعنوية لها تأثير علي الهوية الثقافية والتي تظهر بشكل واضح في التجميل المعماري داخل البيئة.

(١-٤) العوامل السياسية والعسكرية : ومع أنه كان يوجد في أنواع المجتمعات الإنسانية خلال جميع المراحل التاريخ نوع ما من الرقابة علي الأفكار والآراء ومظاهر السلوك ، وهو تأثير السياسات الحاكمة علي عمليات تداول الأفكار والمفاهيم بين أفراد المجتمع ، أيضا فلاشك أن لوجود ثقافات أجنبية دخيلة علي بيئة معمارية ما تاثير قوي علي الثقافة الأصيلة صاحبة المكان ، حتي ولو كان ذلك التواجد لفترة محدودة ، فتشبه الثقافة الدخيلة في تأثيرها علي الثقافة الأصلية تاثير النسيج المبتل علي النسيج الجاف ، فيستطيع النسيج المبتل أن يغير لون النسيج الجاف ويصبغه بلمحات من لونه ولا يمكن حدوث العكس ، فالثقافة الأصلية ليس لها تأثير علي الثقافة الدخيلة لعدم تواجدها في التصميمات المعمارية داخل البيئة التي يصلح فيها التأثير .والعوامل السياسية والعسكرية هي أكثر الجوانب في حياة الأمم التي يكون لها علاقة بوجود أجانب في بيئة ما داخل البلد , فكل التفاعلات التي بين الأمم تتم في ظل السياسات العامة ، ومن ثم تنعكس تلك التفاعلات علي الثقافة

والطابع الحضاري, " اما التدخلات العسكرية فهي مؤثر كبير علي الثقافة إذا تم احتلال عسكري لبلد ما . وقد أثر وجود الاحتلال الإنجليزي في مصر علي الثقافة المصرية سواء بالعمد أو عن طريق التفاعل الطبيعي مع المجتمع المصري وانعكس ذلك التأثير علي كافة نواحي الحياة ، وكذلك فوجود جاليات أجنبية في مصر في عصر الخديوي إسماعيل قد أثر علي شكل ثقافة الطبقة الحاكمة في ذلك الحين ، وانعكس ذلك علي رؤية الخديوي ذاته، فهّم بإنشاء المباني والميادين التي تشبه مباني وميادين وساحات أوروبا".(٢)

٢- <u>الأهمية المعنوية للطابع:</u> " الطابع يوقظ روح الانتماء والارتباط العاطفي بين السكان والمدينة، بالإضافة إلى أن البيئة المقروءة المتميزة ليست فقط تمنح الإحساس بالأمان والخصوصية لكنها أيضاً تزيد من عمق وكثافة الخبرة الإنسانية "(٣)، " ورد فعل افتقاد الطابع في التصميم والتجميل المعماري التي أهملت الجوانب الإنسانية كان ظاهرة الاغتراب وعدم الانتماء وتدهور الصحة النفسية وشيوع الاكتئاب والعزلة"(٤)، كما أن عدم مراعاه المصمم المعماري بالتقاليد والعرف

---

(٢) هـ□م الخديوي اسماعيل بعمل مشروع باريس الشرق ، إلا انه بالرغم من الدافع الرئيسي وراء المشروع - كما يظهر من اسمه - هو تلك الأيدلوجية التغريبية التي تبناها اسماعيل وحكومته.
انظر :د./ علي الصاوي ، التحولات في الفكر والتعبير المعماري لقاهرة الخديوي اسماعيل (دراسة نقدية لظاهرة التحول في التعبير المعماري) رسالة ماجستير, قسم العمارة , كلية الهندسة ,جامعة القاهرة ،١٩٨٨،ص١١١
- د./ فتحي صالح ، القاهرة وباريس : التنسيق الحضاري بين مدينتين ، سبتمبر ١٩٩٩ ،ص١١٠-١١٧ .

(3)Lynch, Kevin, "The image of the city " , p 5

(٤)سيد التوني، " عن الطابع المعماري والعمراني ..."، ص ٣٢.

ومنها الطابع المعبر عن هوية مجتمع ما, خاصة في القرى يؤدي إلى أن يفقد القرويون استقرارهم وإلى انهيار ثقافتهم الخاصة.

٣- الأهمية الوظيفية للطابع :

(أ) عمرانياً: " **للطابع وظيفة عمرانية واضحة في تحقيق تمايز الأماكن عن بعضها بمعنى أنه يسهل إدراك المكان ذو الطابع الواحد ككيان واحد مترابط ويؤكد الفرق بينه وبين غيره من الأماكن، فطابع الإقليم يسهل إدراك الإقليم مساحته وحدوده ، وطابع المدينة يساعد في التعرف عليها وتكوين مذاقها الخاص، أما طابع المناطق فيساهم في كفاءة التصميم العمراني من حيث وضوح الصورة الذهنية للمدينة وتأكيد هيكلها وتحويلها إلى بيئة واضحة مقروءة يسهل التعامل معها سواء للمقيمين فيها أو لزوارها العابرين**"(٥).

(ب) سلوكياً : **وقد يعتبر البعض التساؤل عن الشكل والطابع الذي سوف تتخذه البنايات المعمارية في المستقبل القريب من الكماليات التي لا تسمح الظروف الحالية بالتوقف لها، ولكن الأبحاث الاجتماعية في دول العالم المتحضر تشير إلى تأثير طابع المدن ونوعية العمارة والتصميم الهندسي على الحياة الاجتماعية، ومدى أهمية هذا التأثير وانتشار العنف والجريمة ومختلف المشاكل الاجتماعية الأخرى، كظهور السلوكيات غير القومية بدءا بالعنف**

(٥) خالد عبد المنعم منسي، "الطابع المعماري والعمراني ونظم التحكم في العمران في مصر ",رسالة ماجستير, قسم العمارة, كلية الهندسة, جامعة القاهرة ، ص ٣٧.

والجرائم والاعتداء على البيئة وغياب الالتزام والترابط الاجتماعي في المشروعات التي تهمل الجوانب الإنسانية.

(ج) اقتصادياً: وباعتبار الأصالة والمعاصرة كهدف، فإن الطابع المعاصر الأصيل يجب أن يحقق الأهداف التصميمية التي من بينها الاقتصاد، فالحفاظ ليس فقط جزءا من التنمية ولكنه في الواقع مجدي من الناحية الاقتصادية، وقد يختلف الرأي حول وسائل تحقيق ذلك، ولكن ما يتطرق إلى الذهن في الحال هو إقناع الحكومة بأن الحفاظ ستكون له على الأقل فائدة اجتذاب السياحة وبذلك إنعاش الاقتصاد، وأخيراً هناك مسألة التكاليف الاقتصادية، وقد قيل لنا إن بناء منزل تقليدي من الحجر يكلف أكثر من بناءه بالأسمنت، ولكن بما أن ٧٠% من كهرباء الكويت تستخدم في تكييف هواء المنازل المصنوعة من الأسمنت والزجاج ، فإنه حتى التكاليف الابتدائية للمباني التقليدية التي يبدو ظاهرياً أنها مرتفعة، قد تكون اقتصادية أكثر في المدى الطويل"(٦).

٤- القيم التراثية وتصميمات العمارة وما يحيط بها: إن الأمم المختلفة ذوات الخبرة التاريخية الكبري ، المتميزة والفاعلة في مسارات الوجود الإنساني الطويلة ، تكاد تجمع علي التمسك بتراثها ، وتعتز بكل ما يحمله تراثها من عطاء في كافة المجالات الفكرية ، والعملية ، والفنية ، والأدبية ، والمعمارية ،

(٦)سعد الدين إبراهيم ، "تعقيب" بحث القاهرة نظرة اجتماعية ندوة تحديات التوسع العمراني حالة القاهرة, ص٤٣

وغير ذلك من أوجه الحياة . وقد تضفي الأمم عامة نوعاً من القداسة علي تراثها كمعني إجمالي ، علي الرغم من أن التراث قد يكون الكثير منه غير صالحاً في الوجود المعاصر . وليس من شك أن الاعتزاز بالتراث قد يرجع لاعتبارات قيمة عديدة وهامة تزداد ثقلاً كلما تعمق العقل في فهم حركية التاريخ، وفهم منطق التحول في المسارات الحضارية ، فتراث الأمم يمثل حصاد تفاعلها الإنساني علي مر التاريخ." وتأتي أهمية فهم التراث متوازية مع أهمية عملية الإحياء ، وليس المقصود بعملية الإحياء محاكاة التراث وتقليده والسير كنفه ، إنما الإحياء من منطلق إيجاد الجسور بين التراث وبين الجيل المعاصر ثم الأجيال التالية"[٧] وهو المقصود بمعني التواصل الإنساني في مسيرة الأمة ، ذلك التواصل الذي يربط حلقات الفكر الإنساني .

٥- المفهوم المعماري والعمراني للتراث:

" تتناول بعض الدراسات التراث المعماري من منظور مادي بحت، فتهتم بما يحمله هذا التراث من فنون قديمة أو طرق إنشاء أو زخارف أو غيرها، وهي نظرة قاصرة لأنها تغفل القيم الروحية والمحددات الثقافية و الاجتماعية التي نبع منها هذا التراث المعماري والعمراني، فالعمارة التراثية هي انعكاس لواقع عصر مضي سادته ظروف اجتماعية

(٧) جمال سلطان ، الغارة علي التراث الإسلامي ، مكتبة السنة ,القاهرة, مصر, ابريل, ١٩٩٠م، ص٦-١٠

واقتصادية وسياسية تختلف عن عصرنا الحالي"[٨]. " فمن الناحية المادية يعتبر من التراث كل ما شيده الأجداد من الحضارة في المدن وخارجها، وتختلف هذه العمائر بالنسبة لقدمها والعهود التاريخية التي تنتمي إليها والفنون والمواد المستخدمة في بنائها ، كما تختلف تبعا لحالتها من الضعف والقوة "[٩]. " وبصورة أكثر شمولاً يمكن القول بأن التراث المعماري هو المخزون العمراني المتميز، الذي يميزه الاستمرار والثبات والذي يجمع في أعطافه القيم الروحية والجمالية" [١٠].

"والتراث المعماري والعمراني هو مجموع المباني والمنشآت – والعلاقة المركبة بين بعضهم البعض وبين بيئتهم ومحيطهم – التي استمرت وأثبتت أصالتها وقيمتها في مواجهة التغيير المستمر، وتوفر لها القبول والاحترام ، وأصبحت سجلا حيا ومرجعا بصريا يجسد علاقات الإنسان ببيئته" [١١]. والعمارة العربية طبقا للمفاهيم السابقة تعد من أكثر العمائر ثراء وتميزا لما تزخر به عبر تاريخها الحضاري الممتد عبر حدودنا الحضارية لأن ندعم هذا التميز – بما يمثله من ثروة قومية – وتقويه ونحافظ عليه ونطوره ونوظف التكنولوجيا توظيفا جيدا لهذا الغرض.

---

(٨)جعفر طوفان،الاتجاهات الجديدة في العمارة الإسلامية حافز أم هروب, ورقة بحثية,الجامعة الأردنية ,١٩٨٧,ص ١٠

(٩) عبد القادر الريحاوي، "صيانة وترميم العمائر التراثية"، ص ١٠.

(١٠) رفعه الجادرجي، مجلة البناء ، السنة ٧ ، العدد ٧ ، ص ٢١.

(١١) سيد التوني, عن الطابع المعماري والعمراني لمناطق التعمير الجديدة في مصر ، ص ٤٧.

٦- أهداف المحافظة على التراث في البيئة المعمارية:

إن المحافظة على التراث ليس مطلبا سياحيا كما يعتقد البعض، وإنما هو في المقام الأول محاولة للمحافظة على بناء الأجداد والآباء ليكون بمثابة الدعم والأساس لما يبنى عليه الأبناء ، وبذلك يسير البناء الفعال للمجتمع من جيل إلى آخر، هذا أولاً أما ثانيا فالمحافظة على التراث وإظهاره خلال البنايات المعمارية الاصطناعية المعاصرة يعبر عن حيوية بناء الإنسان وبالتالي فالتراث وسيلة لإنعاش المجتمعات فكريا وثقافيا وفنيا وصحيا قبل ما تكون وسيلة لجلب المدخرات الاقتصادية للشعوب عن طريق السياحة الخارجية.

" والمحافظة على التراث الحضاري للعمارة التاريخية في المدينة القديمة يتطلب كذلك التفاعل مع المنجزات التكنولوجية المتمثلة في وسائل النقل وطرق المواصلات الآلية الأمر الذي يستوجب فصل حركة الإنسان عن حركة السيارة كلما أمكن ذلك على أن تخدم السيارة المناطق القديمة من المدينة في أضيق الحدود دون إيجاد فرص للمرور العابر، أما حركة الإنسان في المدينة القديمة فيرتبط بالمقياس الإنساني لفراغ الشارع والذي تحدده ارتفاعات المباني، الأمر الذي يستدعي تحديد ارتفاعات الأدوار في المباني الجديدة وربطها بارتفاعات المباني القديمة، وهكذا تتحدد لكل منطقة من المدينة قوانينها التنظيمية الخاصة التي تضمن ربط القيم الحضارية للعمارة التاريخية بالعمارة

المعاصرة فيها سواء بالنسبة للتشكيلات الخارجية أو الألوان أو بتنسيق المواقع المحيطة بها"[١٢].

٧- العلاقات التبادلية بين التكنولوجيا والطابع والتراث:

الاستخدام والتطبيق الواعي لمفاهيم التكنولوجيا الحديثة وأساليبها يمكن ان يساهم في عمليات الحفاظ والتطوير للموروث المعماري والعمراني بينما استخدام الأساليب البدائية أو حتي التطبيق الغير الواعي للتكنولوجيا بالإضافة إلي الإهمال فيؤدي إلي تداعي وانحسار هذا الموروث الحضاري وخاصة في المناطق المتميزة , وفي أغلب الحالات لا تتعارض أهداف المحافظة علي التراث مع أهداف تطبيق التكنولوجيا المتقدمة إذا ما تمت الموائمة بين الهدفين بل يمكن استغلال التكنولوجيا بصورة متقدمة في عمليات الحفاظ والتطوير للتصميمات المعمارية بهدف الوصول إلي نتائج جيدة في عمليات الحفاظ علي طابع العمارة .

ويرتبط الطابع ارتباطاً مباشراً بنوعية التكنولوجيا المستخدمة حيث تؤثر عناصر التكنولوجيا تأثيراً قوياً في مكونات الطابع فتكتسب العمارة الطابع الخاص بها نتيجة المواد ــ المستخدمة وطرق معالجتها التشكيلية وأيضاً وسائل التنفيذ ويتغير الطابع ونوعية التفاصيل تبعاً

(١٢) عبد الباقي ابراهيم ، " تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة" إصدار مركز الدراسات التاريخية والمعمارية , القاهرة ,١٩٨٢م, ص ٦٤

لـذلك وعليـه فـالتطور التكنولـوجي فـي مجـال البنـاء هـو أسـاس البنـاء التشكيلي وتطور ملامح المدينة وبيئاتها المعمارية.

(٧-١) التكنولوجيـا والتـراث: تخضـع صـناعة البنـاء وتنفيـذ التصـميم للإمكانيـات الاقتصـادية والتكنولوجيـة المتـوفرة فـي أي دولـة كمـا يختلـف الإنتـاج فـي هـذا المجـال مـن الوحـدات الإنشـائية الصـغيرة إلـي العناصـر الإنشـائية المركبـة، بمـا فيهـا مـن عناصـر التنسـيق للتصـميم الهندسـي وقـد تطـورت صـناعة البنـاء فـي كثيـر مـن الـدول المتقدمـة وظهـرت آثارهـا علـى نطـاق واسـع فـي كثيـر مـن التجمعـات السـكنية فـي هـذه الـدول، وقـد صـاحب تصـنيع المبـاني فـي بـادئ الأمـر بعـض القيـود التكنولوجيـة والمعماريـة ممـا لـم يـدع للمصـمم المعمـاري الحريـة الكاملـة فـي الإبـداع والتشـكيل , الأمـر الـذي أعطـي لتصـميمات لمبـاني المصـنعة الجمـود والعجـز عـن التعبيـر الإنسـاني للعمـارة، مـن هنـا بـدأ الكثيـر مـن المصـممين يخشـون علـى التـراث الحضـاري للعمـارة مـن هـذا الاتجـاه الـذي سـيطرت عليـه الآلـة سـيطرة كاملة.

" ومـع الزيـادة المطـردة فـي معـدل التقـدم التكنولـوجي بعـد الثـورة الصـناعية لـم يجـد الإنسـان خاصـة فـي الـدول الناميـة عنـده القـدرة الكافيـة علـى موائمـة هـذا المعـدل بمعـدلات تفاعلـه الاجتمـاعي مـع التطـور التكنولـوجي السـريع ومـن ثـم علـى موازنـة احتياجاتـه الماديـة باحتياجاتـه المعنويـة ... الأمـر الـذي قلـب المعـايير الحضـارية للـدول المسـتعمرة وتركهـا عـاجزة عـن ربـط قـديمها بحـديثها أو عـن ممارسـة التطـور المتـوازن

اقتصاديا واجتماعيا، وانعكس ذلك بالتبعية على الكيانات الاجتماعية للسكان ومن ثم على الكيانات الطبيعية لمدنهم وعمارتهم المعاصرة – وهكذا أخذت المظاهر العالمية في التخطيط والعمارة أو بالأحرى المظاهر الغربية تترك آثارها بسرعة في مختلف أقطار الأرض دون أن تجد لديها الوقت الكافي لتنمو نموها الطبيعي الذي ترتبط فيه بالبيئات الثقافية والبيئات الطبيعية لهذه الأقطار" .(١٣)

ويتداخل في مجال تطبيق تكنولوجيا البناء للعمارة وعناصر التنسيق المحيطة لبيئة المناظر الطبيعية اتجاهان يحاول من خلالهما التصميم المعماري الجمع بين مكونات عناصرهما، كي يصل في النهاية بتمثلهما إلي معمار يرتبط ويعبر عن ظروف المجتمع الذي يقام فيه، ويكون مشاركا – في نفس الوقت – في إيجاد الحلول لمشكلات ومتطلبات أفراده، والاتجاهان هما:

<u>الاتجاه الأول</u>: تراث المجتمع الإنساني المحلي بمضمونه الواسع الذي يمثل القيمة الكبرى التي يستخلص منها مكوناته التصميمية لعناصر البيئة ، تلك التي تعبر عن تراثها الخاص الذي يعكس قيم الجمال لدي أفراد المجتمع.

<u>الاتجاه الثاني</u>: التكنولوجيا وهي المجال الرحب الدائم التطور الذي دائما ما يضيف أبعادا تصميمية وتنفيذية، تمكن المصمم من أن يبرز أفكاره

(١٣)عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة ، مرجع سابق، ص١٥

بأيسر الطرق وبكثير من البدائل التي تساعد في حل المشكلات البنائية.

" ومن الواقع أيضا أن قوة التأثير الاقتصادي والتكنولوجي للدولة المتقدمة في الدول النامية تصحبه قوة تأثير سياسي واجتماعي وثقافي قد يقلب الموازين التراثية والحضارية المختزنة في هذه الدول النامية إن لم تتصد لها سياسيا واقتصاديا ليس بهدف منعها وإنما بهدف تقنينها حتي تتح الدول النامية لنفسها الفرصة لاستيعاب المنجزات التكنولوجية للدول المتقدمة وتحتويها في إناء مقوماتها التراثية والحضارية" (١٤) .

٨- توجهات العمارة المعاصرة في مصر

إن الثقافة تسير وفق منوال ديناميكي ترددي يتكون من دورات كل منها تفرز توجه فكري جديد أو فلسفة جديدة توصف بالتكامل التفاعلي ، وهذا حال الثقافة المصرية المعاصرة ، حيث بدأت تسلسلها الديناميكي الترددي" المعاصر " بالقيم المتضادة . تضاد القيم بين موروث الثقافة المصرية ووارد الثقافة الغربية الحديثة ، سواء الناتجة من التغريب في بادئ الأمر أو الناتجة من الانفتاح الثقافي علي الغرب في الآونة الأخيرة . وقد انعكست تلك التوجهات

(١٤) حازم إبراهيم عبد الباقي ابراهيم، " السطور التاريخي العمارة في المشرق العربي"، ص٥١

الفكرية علي كافة النواحي العملية والتطبيقية في مصر ولا سيما الفنون عامة والعمارة والبيئة المحيطة بها خاصة ، وقد أثرت وتأثرت بالفهم الجمالي المتباين حسب التوجهات الفكرية سواء للمعماري أو للمتلقي ، فقد مثل التباين في التوجهات الخاصة بالبيئة المعمارية صدي للتباين في التوجهات الفكرية العامة، كنتيجة لرفض أو قبول مجموعة من القيم الثقافية أو غيرها ، ويري بعض المصممين حقيقة وجود تشابه بين التوجهات المعمارية المعاصرة في مصر والتوجهات المعمارية المعاصرة في معظم بلدان العالم العربي والإسلامي ، وقد يساعد ذلك علي استيضاح الأطر العامة لتلك التوجهات ، حيث تتسم جميعها بالازدواجية بين النموذج الأصيل التراثي والنموذج الوارد الحديث ، ويمكن تقسيم التوجهات المعمارية إلي ثلاثة توجهات رئيسية بالإضافة إلي التوجهات الفردية المتعددة .

<u>التوجه الأول</u> : يعتمد علي الموروث الخاص بالبيئة المعمارية كمصدر للتشكيلات المعمارية ، وتنسيق البيئة المحيطة والصياغات الفراغية لبيئة المناظر الطبيعية، وكباعث للجمال ، حيث يعبر الموروث المعماري عن الانعكاس التشكيلي للقيم الثقافية المصرية ، ويؤثر علي إدراك الجمال وبعثه في الذات الحاملة لنفس القيم الثقافية ، وقد نتج هذا التوجه من خلال التفاعل الدياليكتيكي الترددي برفض القيم المستحدثة الغربية وقبول القيم التراثية المصرية .

<u>التوجه الثاني</u> : يعتمد علي وارد البيئة المعمارية الغربية ولا سيما مدارسها المعمارية الحديثة كمصدر للتشكيلات البيئية المعمارية ، تنسيق عناصر البيئة،

وكباعث للجمال ، حيث يعبر الوارد المعماري عن الانعكاس التشكيلي للقيم الثقافية الغربية ، ويؤثر علي إدراك الجمال وبعثه في الذات الحاملة لتأثيرات القيم الثقافية الغربية ، وقد نتج هذا التوجه من خلال التفاعل الدياليكتيكي الترددي برفض القيم التراثية المصرية وقبول القيم المستحدثة الغربية.

التوجه الثالث : يهدف لإقامة مركب تكاملي لفن العمارة لا يخرج من إطار الهوية ولا يخرج من إطار الحداثة ، وهي تلك البيئة المعمارية المصرية المعاصرة التي لا يمكن عزوها إلي التراث المعماري ولا يمكن عزوها إلي العمارة الغربية الحديثة ، فهي عمارة تهدف للدمج بين الموروث والمستحدث . ويعبر ذلك التوجه عن رؤية فلسفية لا تمثل تمازج بين رؤي فكرية قديمة وجديدة فحسب ، ولكنها تهدف إلي التواصل مع الماضي كباعث لجمال العمارة ، حيث يعبر موروث البيئة المعمارية عن الانعكاس التشكيلي للقيم الثقافية المصرية ، ويؤثر علي إدراك الجمال وبعثه في الذات الحاملة لنفس القيم الثقافية ، وحيث تعبر مجموعة من التشكيلات المستعملة من مدارس العمارة الحديثة عن الانعكاس التشكيلي للقيم الثقافية الحديثة ، ويؤثر علي إدراك الجمال وبعثه في الذات المصرية الراغبة في التطور والحداثة. وقد نتج هذا التوجه من خلال التفاعل الدياليكتيكي الترددي التكاملي بين القيم التراثية المصرية والقيم المستحدثة الغربية ، إلا أنه يتراوح بين كونه تكاملي تفاعلي إلي كونه تكاملي بسيط أو . علي حد تعبير بعض الكتاب . تكاملي تلفيقي

التوجه الرابع : مجموعة متعددة من التوجهات الفردية ، ترتبط بفكر كل مصمم معماري وتوجهه الفلسفي الخاص ومبادئه التي ينادي بها ، ومنها التوجه نحو

التشكيل النحتي ومحاولة صياغة عمارة ذات أبعاد نحتية متميزة لا يمكن عزوها إلي عمارة محددة ، فالمرجع الوحيد لتشكيل البيئة المعمارية هو رؤية المصمم التشكيلية ، والمرجع الوحيد للفكر الحاكم هو الفلسفة الخاصة بالمصصم أو بالفئة الاجتماعية أو الجماعة التي يخاطبها .

وعمرانياً يري المصمم العمراني كيفن لنش (*Kevin* Andrew *Lynch*) أن شخصية المكان هي التي تعطي المكان الفردية والذاتية كما تعطيه التمييز والاختلاف عن الأماكن الأخرى" [١٦] ، " وروح المكان والإحساس به وتميزه مرادفات لشخصيته وهي التي تمنح المكان طابعه . وهوية الشخصية للمكان تتحدد من خلال" [١٧] : - شخصية المكان وهي الوحدة والتشابه الدائم في عناصر ومفردات المكان نفسه.- التآلف مع المكان ومشاركته صفاته وخصائصه الثابتة .

فترتبط الشخصية بالمكان ، ومنها تحدد الملامح الأساسية التي تشكل الطابع المكاني ، ولطبيعة المكان عدة مؤثرات تحدد ملامح الشخصية المكانية.

- الملامح الطبيعية والعمرانية للمكان. - الأنشطة والوظائف التي تؤدي من خلال المكان . - المعني ورمزية المكان .

" ويؤكد المعماري جروبياس (walter Gropius) أن المحلية أو الإقليمية في العمارة يمكن أن تؤكد من خلال التشكيل المعماري بإتباع طرز

(16) Kevin Lynch, The image of the city.P.103.
(17) E, Relph, place lesseness, p. 45-50.

معينة سواء كانت قديمة أو حديثة" [١٨] ، ويرتبط فن العمارة بالنظام الاجتماعي الذي يفرض علي المباني تشكيلات محددة كنتاج تكاملي للظروف البيئية المحيطة والاحتياجات الروحية من خلال الإمكانيات المتاحة وطبقاً للعوامل الاقتصادية والبيئية والمناخية ، " وعليه فإن ماتبنيه المجتمعات المحلية يكون معبر عن البيئة بكل مقوماتها ، ويكون نتاج الملائمة مع الظروف المحيطة النابعة من المكان وسلوكيات الإنسان فيه" [١٩]، فالعمارة المحلية تترجم المفهوم الثقافي المحلي للمكان كما أنها تكون خلفية كاملة عن ارتباط الإنسان بالمكان.

٩- أهمية الربط الفكري بين التراث والمعاصرة للتصميم البيئي

تنقسم أهمية الربط بين مفردات التراث والمعاصرة الي شقين رئيسيين هما: أهمية التراث وأهمية المعاصرة وحتميتها ، وتأتي من أهميتهما أهمية الربط بينهما ، فقد اثبتت تجارب الشعوب المختلفة أنه ليس من سبيل للتخلي عن قيمة والإبقاء علي قيمة أخري منهما في اي زمان أو مكان ، وأنه لا يمكن تصور واحدة من قيم التراث أو المعاصرة دون الأخرى في حياة أي جماعة بشرية ، وبالتالي فإن ما تراه الشعوب والجماعات . في الأغلب . هو ضرورة الارتباط بالتراث وبالمعاصرة في آن واحد والربط بينهما بصيغة معينة تعبر عن كليهما دون إخلال بأحدهما.

---

(١٨)طارق وفيق محمد ، المناخ والتشكيل المعماري, رسالة ماجستير, قسم الهندسة المعمارية, كلية الهندسة, جامعة القاهرة, الجيزة, مصر , ١٩٨٠م, ص٣٨.

(1) Oliver.Shalterand Society,England.London,1969.

فمن جهة يرتبط معني التراث بمعني الذات القومية ؛ فلا شك أن التراث الخاص بأي كيان اجتماعي محدد لا ينتمي لغيره ولا يمثل سواه من الكيانات الاجتماعية ، فتجئ أهمية الارتباط بالتراث مما له من قدرة علي التعبير عن الشخصية القومية المتفردة ، ولا سيما إذا كان لذلك التراث ملامحه الواضحة والمعبرة عن الثقافة الأصلية للجماعة مثل الحضارة الفرعونية والقبطية والإسلامية وإذا كانت الشخصية القومية وتأكيد الهوية الفكرية والحضارية للجماعة هي ما يصبو إليه أفرادها للتعبير عن أطر مجالاتهم الفكرية والعملية، وحيث أنه لا شك أن التراث يمثل أحد أهم الوسائل والقنوات التي يمكن من خلالها التعبير عن تلك الأهداف ، فيكون بذلك التراث المصري الذي يمثل مصر ويعبر عنها هو أهم وسائل إظهار الشخصية القومية وتأكيد الهوية الفكرية والحضارية لمصر وذلك من خلال تطبيقه وتناوله في التصميمات المعمارية . ومن جهة أخري فإن كل ما تعنيه المعاصرة من ارتباط بالزمن الحاضر والتزام بالتحديث والتطوير دون النقل والاستنساخ من الماضي يعد قيمة أخري هامة تصبو إليها الجماعات الإنسانية .

وإذا كانت الحضارة بوجه عام ومبسط عبارة عن مجموعة تطبيقات لمجموعة من الأفكار والمفاهيم ، وتكوَّن تلك الأفكار فيما بينها كل ما يدخل في نطاق كلمة (ثقافة) . إن فن العمارة بذلك المفهوم هو إحدي المجالات التطبيقية والتعبيرية لتلك الأفكار , فإذا كان التراث أو المعاصرة ـ علي حد سواء ـ يتمثلان في نتاج فكري ثقافي أفرز أو يفرز نتاجاً مادياً حضارياً بوجه عام وتصميمياً بوجه خاص ، وبالتالي فإن أهمية الربط بين التراث والمعاصرة هي أهمية فكرية ثقافية في المقام الأول ، وهي أهمية تطبيقية للعمارة والتصميم

البيئي في المقام الثاني وهي مجموعة اخري من الأهميات التطبيقية في شتي مجالات الحياة بوجه عام .

(٩-١) العلاقة بين الثقافة والمعاصرة والتراث لفن العمارة

" إن روح المعاصرة هي تلك القيمة الجوهرية في معني المعاصرة وهي الشيء المميز لعصر بذاته عن سواه من العصور ، فهي بذلك جوهر قوالبه المادية والفكرية ، ويعني الارتباط بالمعاصرة مواكبة الظروف والأحداث والثقافة في الزمن الحاضر وهو أمر تهتم به كل الجماعات البشرية ، فتمثل المعاصرة بالنسبة للإنسان دليلاً علي الحياة ومعني من معانيها، فقد يعني توقف التطور توقف قدرة الإنسان علي العطاء. فلو لم تكن المعاصرة موجودة في الماضي لما أصبح الماضي موجوداً بين أيدينا الآن في صورة تراث ، ذلك وأن حصر القيم الثقافية وفاعليتها وعطائها الحضاري بفترة تاريخية معينة أمر يتنافي مع فكرة التطور والتكامل بين الماضي والحاضر".(٢٠) " والتخلي عن المعاصرة يمثل خطراً كبيراً بالحياة الثقافية ، فالحياة الثقافية بحاجة الي المتابعة والنمو والاستمرار فهي تشبه الكائن الحي المتصل ماضيه بحاضره ، فإذا انفصل عن حاضره فإن ذلك يفقده قواماً جوهرياً من قواماته." (٢١) " وقد تتحدد مشكلة التخلي عن المعاصرة نوعياً إذا ما فهم خطأ الطرح الذي جعل من مفهوم التراث والمعاصرة طرفي نقيض يجب الاختيار من بين أحدهما ، ذلك أن المقدمات

---

(٢٠) د.أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، سلسلة كتاب الأمة, رئاسة المحاكم الشرعية, , قطر, ١٩٨٦م ، ص١٣.

(٢١) يوسف ميخائيل أسعد، الثقافة ومستقبل الشباب، مكتبة غريب , القاهرة ,ص١٤٩.

المخطئة تقود غالباً الي نتائج مخطئة ، وأنه لا يوجد إلا إمكانية اختيار أحد من الأمرين للانتهاج به والسير في فكره إما التراث وإما المعاصرة. "[٢٢]

" إن المعاصرة في حد ذاتها هدف ومنهج ومن الخطأ مقارنته بالتراث أو مقارنة التراث به إنهما منهجان متكاملان ، ولا تقل أهمية المعاصرة كقضية مطروحة علي الساحة الثقافية عن أي قضية ثقافية أخري بل إنها تزيد ، فهي التزام الإنسان بحاضره وبنفسه لصالح من يأتي بعده فلن يُذكر عصر ما في التاريخ إذا كان صورة لما جاء قبله وتكراراً له ، وهنا تكمن رؤية المعاصرة علي أنها إدراك العصر وإثباته في تسلسل الزمن." [٢٣]

فمن الجهة الأولي : يمثل الاهتمام بالثقافة القومية والتعبير عنها أمر هام لدي العديد من الجماعات والشعوب ولا سيما تلك التي تملك من التميز الثقافي ما يفرض علي أبنائها واجباً نحو قوميتهم وصدق تعبيرهم عنها ، ويعتبر التراث بمثابة التجسيد المتميز لثقافة جماعة عبر حقبة أو عدة حقب زمنية مضت ، ومن الجهة الثانية : فالمعاصرة تعبير عن الحياة والتواجد والتجديد والتطور التقني والمعلوماتي لا النقل والاستنساخ ، من الجهة الثالثة ، يعد وجود ربط فكري بين التراث والمعاصرة بمثابة التعبير عن صلاحية الثقافة

---

(٢٢) د. أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، ١٩٨٦م ، ص ١٢- ١٣.

(٢٣)م.محمد عبد الفتاح احمد اسماعيل، "التشكيل المعماري بين القيم التراثية والقيم المعاصرة نحو منهجية فكرية لمنطق التواصل" ، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، فرع الفيوم، ماجستير، ٢٠٠٠م, ص ١٧٨.

للبقاء عبر الزمن ، فمن ذلك يمكن الربط بين تنامي الوعي بأهمية الثقافة القومية والتعبير عنه وبين الاهتمام بالتراث كوسيلة تعبير ثقافي معاصر." (٢٤)

ومن جهة أخري فالتوجه نحو العمارة العالمية المعاصرة كأهم أنواع الفنون لاتباع أي من المدارس المعمارية الغربية في المعالجات التشكيلية قد ينظر له علي أنه نوع من التقليد لتلك المدارس ، مما لا يشير الي القومية المصرية في إطار متفرد من نتاج فن العمارة المعبر تعبيراً كافياً عن الذات القومية المصرية ، ويوضح الفارق بين التصميمات الهندسية للعمارة المعاصرة المصرية وتصميم البيئة الخارجية وأي بيئة معمارية أخري معاصرة ، وعلي ذلك فإن مسئولية المصمم المعاصر في مصر تحتّم عليه أن يعيش الماضي والحاضر والمستقبل في تصميماته وابتكاراته وإبداعه لأنها تمثل دون أدني شك محددات لتلك التصميمات , ذلك لأن الماضي لازال بيننا بتراثه يشع حضارة وثقافة ويفرض ذاته في الفراغ العمراني مستوجباً كل اعتبار واحترام .

<u>١٠- مفهوم الإحياء للبيئة المعمارية</u>: مفهوم الأحياء هو أحد مفاهيم عملية الربط الفكري بين التراث والمعاصرة ، وهوة إعادة استخدام النتاج التراثي علي المستوي الثقافي والحضاري ، وليس لعملية الإحياء شكل ثابت أو تصور وحيد لإعادة الاستخدام للنتاج التراثي ، ولكن الارتباط بالتراث كعنصر حاكم وفعال في عمليات التفاعل الحضاري بصفة عامة والحلول التصميمية بصفة

(٢٤) د. سيد التوني ، الثقافة والعمارة، في توفيق العلاقة، ديسمبر، ١٩٩٤م.

خاصة هو المحور الرئيسي لعملية الإحياء ، فيعني إحياء العمارة و الفراغ العمراني المحيط بها, الاسترجاع الكامل أو الجزئي لرموز أو مفاهيم أو افكار وحلول تصميمية معمارية قديمة ، وإعادة دمجها في الحلول التصميمية المعاصرة بصورة ما تخضع لتصور التصميم عن مفهوم عملية الإحياء ، ولا شك أن ذلك يستوجب الفهم العميق لجذور الفكر الحضاري لفن العمارة في العصور التي ازدهر فيها والتي تمثل التراث ، وهذه الجذور تكون المحصلة الشاملة للثقافة والحضارة وروح العصر (ديانة . ثقافة . اقتصاد .. إلخ) مع المؤثرات الطبيعية المختلفة من مناخ وطبيعة جغرافية وغير ذلك . وينشأ الطراز عند انصهار هذه المؤثرات جميعها ، والطراز هو أحد الأشكال المرئية التي أفرزتها الحضارة ، وينشأ كذلك الطابع وهو الصفة المميزة للطراز ، وعادة يعكس الطابع السمات القوية المشتركة في الطراز في مختلف تطبيقاته في مختلف الأقطار التي شاركت في تكوين الحضارة .ومعني ذلك أن الشعوب والجماعات التي تهدف الي إحياء تراث قديم بها يجب أن تكون لازالت محافظة علي جزء كبير من مقومات الحضارة التي تنشأ فيها هذا الطراز ، أو علي الأقل يكون هناك ما يساعد علي نمو هذه الحضارة والمباني المعمارية الجديدة بما يعبر عن تلك الحضارة وطابعها .

قائمة المراجع

اولا الكتب العربية:

١- أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، سلسلة كتاب الأمة, رئاسة المحاكم الشرعية, , قطر, ١٩٨٦م .

٢- ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار الشروق, بيروت , لبنان, الطبعة الأولي, ١٩٩٤م .

٣- جمال سلطان، الغارة علي التراث الإسلامي، مكتبة السنة ,القاهرة, مصر, ابريل, ١٩٩٠م.

٤- جعفر طوفان، الاتجاهات الجديدة في العمارة الإسلامية حافز أم هروب, ورقة بحثية,الجامعة الأردنية ,١٩٨٧.

٥- د/ حازم ابراهيم, د/ عبد الباقي ابراهيم ,المنظور التاريخي للعمارة في المشرق العربي,مقال , إصدار مركز الدراسات

التاريخية والمعمارية,القاهرة ,١٩٨٧م .

٦- خالد عبد المنعم منسي، "الطابع المعماري والعمراني ونظم التحكم في العمران في مصر ",رسالة ماجستير, قسم

العمارة, كلية الهندسة, جامعة القاهرة .

٧- رفعه الجادرجي، مجلة البناء ، السنة ٧ ، العدد ٧.

٨- سعد الدين إبراهيم ، "تعقيب" بحث القاهرة نظرة اجتماعية ندوة تحديات التوسع العمراني حالة القاهرة.

٩- د/ سيد التوني ، الثقافة والعمارة، في توفيق العلاقة،المؤتمر الثامن للمعماريين المصريين, (المؤتمر الدائم للمعماريين

المصريين), القاهرة , مصر, ديسمبر، ١٩٩٤م.

١٠- سيد التوني, عن الطابع المعماري والعمراني لمناطق التعمير الجديدة في مصر.
١١- طارق وفيق محمد ، المناخ والتشكيل المعماري, رسالة ماجستير, قسم الهندسة المعمارية, كلية الهندسة, جامعة القاهرة, الجيزة, مصر , ١٩٨٠م.
١٢- عبد الباقي ابراهيم ، " تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة" إصدار مركز الدراسات التاريخية والمعمارية , القاهرة ,١٩٨٢م.
١٣- عبد القادر الريحاوي، "صيانة وترميم العمائر التراثية".
١٤- علي الصاوي ، التحولات في الفكر والتعبير المعماري لقاهرة الخديوي اسماعيل (دراسة نقدية لظاهرة التحول في التعبير المعماري) رسالة ماجستير, قسم العمارة , كلية الهندسة ,جامعة القاهرة ،١٩٨٨.
١٥- فتحي صالح ، القاهرة وباريس : التنسيق الحضاري بين مدينتين ، سبتمبر ١٩٩٩ .
١٦- محمد عبد الفتاح احمد اسماعيل، "التشكيل المعماري بين القيم التراثية والقيم المعاصرة نحو منهجية فكرية لمنطق التواصل"، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، الفيوم، ماجستير، ٢٠٠٠م
١٧- يوسف ميخائيل أسعد، الثقافة ومستقبل الشباب، مكتبة غريب , القاهرة , ١٩٨٤.

المراجع الأجنبية

1-Lynch, Kevin, "The image of the city " .
2- Oliver.Shalterand Society,England.London,1969.
3- Kevin Lynch, The image of the city.
4- E, Relph, place lesseness.

مصطلحات البحث

-جري تعبير"القيم المضادة" في الزمن المعاصر بعد حركات الانفتاح الثقافي, والتداخلات والتفاعلات الثقافية بين الشعوب, ولاسيما بعد تنفيذ اتفاقية الجات وتأثير العولمة والانترنت والقنوات التليفزيونية العالمية علي الثقافات المحلية, فاختلطت القيم الموروثة والمحلية للشعوب مع القيم الثقافية الواردة من الاحتكاكات بالثقافات الأجنبية الدخيلة , فكان من القيم المحلية ما يتضاد في هدفه مع القيم الدخيلة والواردة فنشأ تعبير"القيم المضادة".

- استعمل بعض المفكرين تعبير " تكاملي تلفيقي" للدلالة علي نوع من التكامل لا يقوم علي التواصل الفكري الثقافي ، ولكنه يقوم علي المزج الفكري البسيط بين قيم الرفض وقيم القبول.

- ديالكتيكية:منهج في التفكير يقوم علي التحليل الوقعي وإبراز ما فيه من تناقضات سعيا إلي تجاوزها

(معجم اللغة العربية المعاصر) ,(ديالكتيك في الفلسفة الكلاسيكية) باليونانية, (διαλεκτική)هو الجدل أو المحاورة: تبادل الحجج والجدال بين طرفين دفاعًا عن وجهة نظر معينة، ويكون ذلك تحت لواء المنطق.